

سلسلة كتبيات شبكة بينونة



فَضَائِلُ الْعُلَمَاءِ الْأَهْلِ

السَّيْفِ
وَجَدِّ الرَّسُولِ بْنِ سَلَمَةَ الْأُمَوِيِّ



  @BaynoonanetUAE   @Baynoonanet  www.baynoona.net



فَضْلُ الْعِلْمِ رَهْمَةٌ

فَضْلُ الْعِلْمِ وَالْأَهْلِ

السِّيَرِ

وَجَدِّ الرَّحْمَنِ بْنِ سَلْمَانَ الطَّحَاوِيِّ

حِكْمَةٌ بَيْنُونَةٌ لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع و محفوظة

للمزيد من الكتب



www.baynoonanet.net



@BaynoonanetUAE



@Baynoonanet



www.baynoonanet.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم،
أحمده وأستعينه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،
خير من علّم العلم ودعا إليه، صلى الله وسلّم عليه
وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين،
وبعد:

فقد تضافرت النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية،
وأثار السلف من الصحابة والتابعين والأئمة العلماء في
بيان فضل العلم وأهله، وإنه لفضلٌ عظيمٌ لمن سلك
طريق طلب العلم، وأخلص فيه النية لله **عَزَّوَجَلَّ**، ووفّق فيه
حتى عمّل به، وعلمه الناس.

كيف لا يكون العلم الشرعي وأهله بهذا الفضل
والمنزلة الرفيعة، وهم به يحفظون دين الله، ينفون عنه

تحريفَ الغالينَ، وانتحالَ المبطلينَ، وتأويلَ الجاهلينَ، وتمييزَ الحقِّ مِنَ الباطلِ، والتوحيدَ مِنَ الشُّركِ، والسُّنَّةَ مِنَ البدعةِ، والطاعةَ مِنَ المعصيةِ، وأهلَ السُّنَّةِ مِنَ أهلِ البدعةِ.

كيف لا يكون كذلك وفيه درءُ الفتنِ، ومحاربةِ الشهواتِ، المُضعفةِ للدينِ والإيمانِ، ومهلكةِ الحرثِ والنَّسلِ، والمؤديةِ إلى إحلالِ الخوفِ والتشريدِ مكانِ الأمنِ والسلامِ، وحصولِ الجوعِ والفقرِ وضعفِ المجتمعاتِ والأوطانِ.

فالعلمُ الشرعيُّ نورٌ يَسِيرُ به العبدُ إلى ربِّه في عقيدته وعبادته وأخلاقه ومعاملاته على صراطٍ مستقيمٍ، وفيما يأتي سنتعرف معكم على فضل العلم وأهله بدايةً من القرآن الكريم:

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ

وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾
 [آل عمران: ١٨]، حيث دلت الآية أنه من فضيلة العلم: أن
 الله تعالى أشهد أهله على أجل مشهود عليه وأصدقه
 وأفضله، ألا وهو توحيد **عَزَّجَلَّ**، إضافة إلى أنه سبحانه
 قرن شهادة أهل العلم بشهادته **عَزَّجَلَّ** وبشهادة الملائكة
 الكرام **عَلَيْهِمُ السَّلَامُ**، فإن دل هذا فإنما يدل على عظيم مكانة
 أهل العلم، قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «وهذه خصوصية
 عظيمة للعلماء في هذا المقام» (١).

● ومن الآيات الدالة على فضل العلم وأهله:

قوله **عَزَّجَلَّ**: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، عن ابن مسعود
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسير هذه الآية قال: «يرفع الله الذين
 آمنوا وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم
 درجات»، وقال: «ما خص الله العلماء في شيء من

(١) تفسير القرآن العظيم (٢٠/٢).

القرآن ما خصهم في هذه الآية، فضل الله الذين آمنوا وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم»^(٢).

وقال قتادة **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «إن بالعلم لأهله فضلاً، وإن له على أهله حقاً، ولعمري للحق عليك أيها العالم فضل، والله معطي كل ذي فضلٍ فضله»^(٣).

وكان مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير يقول: «فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع»^(٤)، فهنا يبين **رَحْمَةُ اللَّهِ** أن من فضيلة العلم أنه أحب إليه من فضل العبادة، فالعلم عمومه ونفعه متعدّد بخلاف العبادة فإن نفعها قاصرٌ على نفس المتعبد.

قال الإمام الطبري **رَحْمَةُ اللَّهِ** في تفسير الآية: «يرفع الله الذين أوتوا العلم من أهل الإيمان على المؤمنين الذين لم يؤتوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما

(٢) الدر المشهور للسيوطي (٨/ ٨٣).

(٣) جامع البيان للطبري (٢٣/ ٢٤٧).

(٤) كتاب العلم لابن أبي خيثمة (١٣).

أُمرُوا به»^(٥)، فهنا العمل بالعلم هو الغاية من تعلم العلم وإلا ما فائدة هذا العلم.

والرَّفْعَةُ هنا لها موضعان، ولها سببان، أما موضعها ففي الدنيا والآخرة، وسببها، الإيمان والعلم، قال الإمام الشوكاني رَحْمَةُ اللَّهِ فِي توضيح هذا الأمر: «ويرفع الذين أوتوا العلم منكم درجات عالية في الكرامة في الدنيا والثواب في الآخرة، ومعنى الآية أنه يرفع الذين آمنوا على من لم يؤمن درجات، ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا درجات، فمن جمع بين الإيمان والعلم رفعه الله بإيمانه درجات، ثم رفعه بعلمه درجات... وفي هذه الآية فضيلة عظيمة للعلم وأهله»^(٦).

وفي السُّنَن أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب بعُسفان، وكان عمر استعمله على مكة،

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن (٢٣/٢٤٦).

(٦) فتح القدير (٥/٢٢٦).

فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفت عليهم ابن أزي، قال: وما ابن أزي؟ فقال: رجل من موالينا، فقال عمر بن الخطاب: استخلفت عليهم مولى؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إنه قارئ لكتاب الله، عالم بالفرائض، قاض، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أما إن نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ» ^(٧)، فابن أزي هذا مولى من الموالي، لكن حفظه للقرآن، وما عنده من علم وعمل رفعه أمام أقرانه من الناس.

● ومن الآيات الدالة على فضل العلم وأهله:

قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ عَائَةَ الْيَلِيلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

قال الإمام الطبري في تفسير الآية: «يقول تعالى ذكره:

(٧) رواه مسلم (٨١٧) وابن ماجه (٢١٨).

قل يا محمد لقومك: هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم من الثواب، وما عليهم في معصيتهم إياه من التبعات، والذين لا يعلمون ذلك، فهم يخطون في عشواء، لا يرجون بحسن أعمالهم خيراً، ولا يخافون بسيئها شراً؟ يقول: ما هذان بمتساويين» (٨).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أي: الذين يعلمون أن ما وعد الله به من البعث والثواب والعقاب حق، والذين لا يعلمون ذلك، أو الذين يعلمون ما أنزل الله على رسله، والذين لا يعلمون ذلك، أو المراد: العلماء والجهال، ومعلومٌ عند كل من له عقل أنه لا استواء بين العلم والجهل، ولا بين العالم والجاهل... وقيل المراد بالذين يعلمون: هم العاملون بعلمهم فإنهم المنتفعون به؛ لأن من لم يعمل بمنزلة من لم يعلم» (٩).

(٨) جامع البيان (٢٦٨/٢١).

(٩) فتح القدير (٥٢٠/٤).

ومن الآيات الدالة على فضل العلم وأهله:

قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير الآية: «إنما يخافُ الله فيتقي عقابه بطاعته العلماءُ بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد، لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته؛ فخافه ورهبه خشيةً منه أن يعاقبه» (١٠).

وقال ابن عطية رحمه الله: «العلم رأس الخشية وسببها، والذي ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال «خشية الله رأس كل حكمة»، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رأس الحكمة مخافة الله»، وقال تعالى: ﴿سَيَذَكَّرُنَا مِنْ خَشْيَةِ﴾ [الأعلى: ١٠]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أعلمكم بالله أشدكم له خشية» (١١).

(١٠) جامع البيان (٤٦٢/٢٠).

(١١) المحرر الوجيز (٤٣٧/٤).

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية» ^(١٢)، وقال: «كفى بخشية الله علماً، وبالاغترار به جهلاً» ^(١٣)، وقال الربيع بن أنس: «من لم يخش الله فليس بعالم» ^(١٤)، وقال مجاهد والشعبي: «إنما العالم من يخشى الله» ^(١٥).

وقال ابن كثير في الآية: «أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم التقدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنی كلما كانت المعرفة به أتم، والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر» ^(١٦).

ومن الأحاديث الثابتة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فضل

(١٢) تفسير ابن كثير (٤٨٢/٦).

(١٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٥١/١).

(١٤) رواه ابن المبارك في الزهد (٤٦).

(١٥) مجموع رسائل ابن رجب (٧٨٦/٢).

(١٦) تفسير القرآن العظيم (٤٨٢/٦).

العلم وأهله:

عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » (١٧).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ » (١٨).

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ » (١٩).

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ

(١٧) رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(١٨) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(١٩) رواه الترمذي (٢٦٨٥)، وصححه الألباني.

يُتْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (٢٠).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «
وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ
اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ،
وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ
عِنْدَهُ» (٢١).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا
فَسَلَّطَهُ عَلَيْهِ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ
يَقْضِي بِهَا وَيَعْلَمُهَا» (٢٢).

فهذه النصوص وغيرها تدل دلالة واضحة ما للعلم
من فضل ومكانة ومنزلة عظيمة عند الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا

(٢٠) رواه مسلم (١٦٣١).

(٢١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢٢) رواه البخاري (١٤٠٩)، ومسلم (٨١٦).

الفضل العظيم تعدى إلى حملة هذا العلم، جزاء لهم لما بذلوه في تحمّله، نسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يجعلنا من أهله.

● من المسائل المهمة في موضوعنا اليوم:

العلم إذا أُطلق في الكتاب والسنة فالمقصود به العلم الشرعي، يؤكد هذا ما قاله الحافظ ابن حجر **رَحْمَةُ اللَّهِ**: «كل علم أُطلق في القرآن أو في السنة فإنما يراد به علم الكتاب والسنة»، وقال أيضًا: «والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته وما يجب له من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص»^(٢٣).

هذا مع التنبه إلى أن الفضل والمثوبة قد تصل أيضًا إلى العلوم الدنيوية بحسب نفعها ونية متعلمها وإخلاصه، وتوضيح لهذا المعنى أورد لكم قول شيخ الإسلام ابن تيمية حينما قال: «العلوم إما أن تُعلم

(٢٣) فتح الباري (١/١٤١).

بالشَّرع فقط، وإمَّا أن تُعلم بالعقل فقط؛ كمرويات الطِّب والحساب والصناعات، وإمَّا أن تُعلم بهما، فإمَّا أن يكون الشَّارع قد هدى إلى دلالته فهي مما شُرع عقله، وإمَّا أن يكون قد أخبر بها فقط فهذه عقلية من غير الشَّارع»^(٢٤)، وقال: «ما شُرع علمه يدخل فيه كلُّ علم مستحب أو واجب، وقد يدخل في المباح... وما عُلِمَّ بالعقل وحده فهو من الشَّريعة أيضًا؛ إذا كان علمه مأمورًا به في الشَّرع»^(٢٥).

وعلى هذا نقول: إنَّ العلوم الدنيوية كالطب والهندسة والفلك وغيرها مما ينفع الناس، لصاحبها من الثواب والأجر بقدر صلاح نيته في ابتغاء المثوبة ونفع الناس، والارتقاء بمجتمعه ووطنه في مصاف الدول القوية والمتقدمة، وهذه العلوم النافعة هي من فروض

(٢٤) مجموع الفتاوى (١٩ / ٢٣١).

(٢٥) مجموع الفتاوى (١٩ / ٢٣٣).

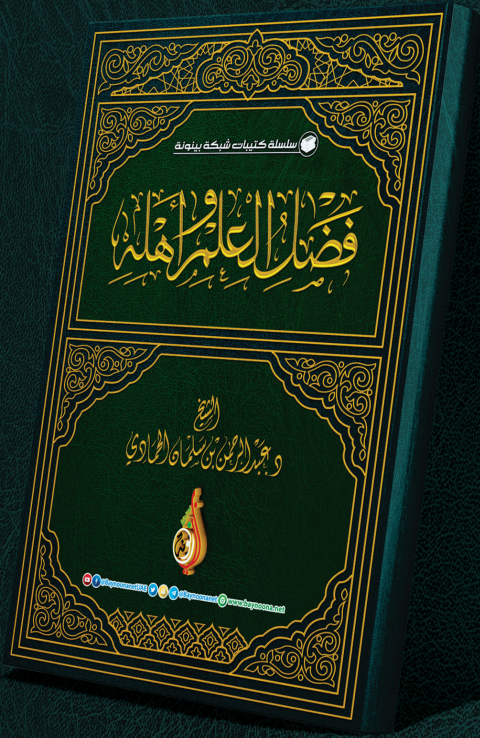
الكفايات التي يجب أن ينفر لها طائفة من المسلمين؛
ليكفوا أوطانهم عن الحاجة إلى غيرهم.

ولا ريب أن العلوم التجريبية التكنولوجية الحديثة
من العلوم التي أمر الشارع بها ودل عليها؛ لأنها وسيلة
للوصول إلى التقدم والحضارة في كافة الميادين،
وخاصة ميدان القوة، فالحرب بين الدول أساسها
العلم، فهي داخلة في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا
اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِءٍ عَدُوَّ اللَّهِ
وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

نسأل الله **عَزَّجَلَّ** أن يجعلنا من المتعلمين العالمين
معلمي الناس الخير، ونسأله **عَزَّجَلَّ** أن يجعل ما تعلمنا
خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقنا للعمل بالعلم،
ونسأله **عَزَّجَلَّ** أن يتقبل منا ومنكم أجمعين.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين.

حقوق الطبع محفوظة



شبكة بينونة العلوم الشرعية